من نماذج كثير لشهادة ما كان يستطيع أحد من الناس أن ينتقل من بلد إلى بلد بدونها. وكانوا يدعونها جواز سفر. وكان لا بدّ لهذا الجواز من أن يصدر عن سلطة معترف بها، ومن أن ينطوي على وصف دقيق لحامله ـ متى ولد، وأين، وما هو طوله وعرضه ولون شعره وعينيه، وهل هو عازب أو متزوّج، وما هو غرضه من سفره وغير ذلك من الشؤون. لا تضحكوا، فهذا الجواز لحامله كان بمثابة الروح أو أغلى. والويل لمن كانوا يصطادونه مسافراً بغير جواز أو بجواز مزوّر. فقد كان نصيب ملاك بين زمرة من الشياطين خيراً من نصيبه. والأسخف من ذلك أن الدخول إلى بعض البلدان ـ بجواز أو بغير جواز ـ كان أصعب من دخول إبليس إلى الجنّة. ذلك لأن شرع الناس كان يبيح لكلّ أمّة من الأمم أن تستقلّ ببقعة من الأرض فتستغلّها أو لا تستغلّها على هواها، وتبذّر خيراتها أو تبقيها دفينة في التراب، وتقبل من تريد قبوله وترفض من تريد رفضه. وتلك البقعة كانت تدعى وطناً. وكان من أقدس واجبات ساكنيها أن يموتوا في الدفاع عنها. وذلك الضرب من الموت كان يدعى بسالة واستشهاداً في سبيل الاستقلال والحرية!..

« وإليكم هذه الوريقة، أوتعلمون ما هي؟ هي كذلك نموذج من نماذج كثيرة كانت تُعرف باسم أوراق النقد.